في ايران

عام 79 كانت سينا موريا قد ذهبت الى ايران وقابلت رجل دين هو آية من آيـات الله ودخلت على يديه في الإسلام، وقالت أن اسمها أصبح فاطمة، وأخذت تتدرب بنا لأننا لا نصلي.. كنت أسمع قصتها وأفهم نواياها.. دعت عفيف ليزور ايران ويـصحح وضـع فولكمار ويعترف بأبوته له.. قلت له:

-لا يصلح الإنسان خطأ قديما باقتراف خطأ جديد أسوأ منه.. أنا أسمع حديثا عـن تصحيح الأوضاع، فكيف يصحح وضع مثل هذا دون أن يجعل مني ضـحية؟ الحيـاة لا تقبل الإزدواجية ياعفيف أنت قلتها لي ذات يوم، وأنا أومن بها حسب مفهومي للحيـاة.. فلا تظن أنك تنتفع بكلتينا.. أنت أمام اختيار وعليك أن تختار.. وأنا أمام اختيار وعلي أن أختار.. فكرت بالأمر طويلا.. أنا لا أتصرف عن انفعال.. كنت أعيش وهما ظننته حبـا وأعطيت في سبيله شبابي وموهبتي.. انني أفهم الآن الأمور على حقيقتها بدون هـالات ولا تزيين، لم يكن الاّ من وحي خيالي وغبائي.. حتى غيرتك علي لم تكن حبا بل وسيلة تنتقم بها مني ممن أساءت اليك.. مررت بتجربة هدمت ثقتك بالمرأة ودفعت أنا الـثمن.. ما ذنبي أنا؟ لماذا لم تتركني أنتفع بحياتي وجعلتني أتخلى عن قوتي في سبيلك لتقول لي في النهاية بأنك تشفق علي، ولا يمنعك من قطع مابيننا الاّخوفك من تأنيب الضمير..

-ليس لي رد عليك الاّ أنك حمقاء.. لا يعيش الرجل مع امرأة سنين طوالا وهو لا يحبها..

-أنت تخلط بين الحب والإشتهاء، كل النساء سواء بالنسبة للرجـل عنـدما تطفـأ الأنوار، أضممت اليك امرأة تحب أم جثة لافرق، الموضوع منفصل عن ذاتـك تمامـا، يسكن قلقك فترضى.. لا تفقد شيئا بالحب الذي تزعمه، لا حريتـك ولا مـستقبلك، وان حزنت لفراقي فلأجل تلك الخدمات التي أقدمها لك ولأولادك، فان وجدت من يحل مكاني استمر وجودك.. البيت بيتك والأبناء أبناؤك، اما أنا فلا أملك شيئا حتى الأبنـاء الـذين أنجبتهم..

-لا أحد ينازعك في شيء.. لا تستطيعين أن تقولي بأنني أسأت اليك، لـيس مـن رجل في مثل رقتي واحساسي بواجبي، أحرم نفسي من أجلك ومن أجل أولادك، أكـافح في سبيلكم الكفاح المرير لتكونوا موفوري العيش والكرامة..

-أنت لست بحاجة الي بالطريقة التي يفجعك فيها فقدي!

-لا يليق بك هذه العاطفية.. فما هكذا تبنى البيوت!

-ولا تبنى على زيف العواطف..

-عدت الى الكلام الذي لا طعم له..

-ألست أقف بينك وبين الحياة والمجد؟

-من قال هذا؟

-يقول الإنسان كثيرا من الهراء حين يغضب.. ويقول في كثير من الأحيان الحقيقة التي تعتلج في نفسه طويلا.. وأنا سأمنحك الفرصة التي تجرب فيها حظك مـن الحيـاة والمجد..

-جن جنونك لأن سينا تعرض علي أمورا لا أرضى بها أبدا.. غيرة المرأة ثارت، وغيرة المرأة عمياء لا تبصر أبدا.. هذه قصتك.. لا أراك الآمستاءة عـصبية المـزاج، أفتقد فيك حنان المرأة فلا أجده.. لقد قلبت رأسا على عقب..

-أنا التي قلبت رأسا على عقب أم أنت؟

-أتظنين أنه لا تقوم علاقة بين رجل وامرأة الا علاقة حب واشتهاء؟ انك تتصرفين بحماقة قد تدفعني دفعا الى ما لم أفكر به أبدا..

-من حقي أن أستريب حين يكون بينكما حب قديم، وحين تقسم لـي أنـك الرجـل الوحيد في حياتها، وحين تدخل الإسلام لأن من حق الرجل المسلم أن يكون له زوجتـان وأكثر.. وحين تحوم حولك تريد أن تسلبك مني بطريقة ما..

-الحب القديم مات، بل بالأحرى لم يوجد قط.. كنا نتشاجر دومـا وأدرك أن مـن المستحيل علي أن أنسجم معها وربما كانت هي الأخرى كذلك.. أما سمعتها تقول "لم أحبه قط، ولم يحبني أبدا".

-وسمعتك تقول: " أحقا لم تحبيني؟" وتضحك مازحا.. كنت تغازلهـا أمـامي ولا تحس بوجودي.. انها امرأة غاضبة وأنا أشفق عليها، فأنا انسانة وامرأة وأم.. لتدعي هي

ما تحب أن تدعيه وترتب الأمور بما يلائمها، أما أنا فلا أقبل لنفسي دورا هامشيا، وتمثل هي على حسابي دورا بطوليا.. ان كانت قادرة على حبك وإسعادك فلتتقدم، سأمنحها هذه الفرصة، ولن أجعلك تشعر بتأنيب الضمير بسببي..

-أنت واهمة، هي لا تفكر بشيء من هذا القبيل.. ان سعت لتصحيح وضع فبـسبب الضغط الإجتماعي..

-لي من الذكاء بحيث أفهم النفس البشرية وأعرف ما بين السطور.. قد لا تـسعى الى قفص الزوجية الذي يكبلها كما يكبلني ولكنها تسعى الى الإستهواء حتى باليوجا التي تمارسها.. تريد أن تحتل قلبك وتخضعه وتجعل منك مجـرد زوج رسـمي لـي يقـوم بواجباته، وهذا ما سأفوته عليها.. سأدفعها الى أحد اختيارين إما أن تأخذك كليا أو تدعك كليا.. يجب أن تعلم ما يعنيه حرق شبابها وموهبتها في سبيل رجل لا يحس بها.. ولكنني واثقة أنها لا تملك القدرة على تضحية بمثل هذه الضخامة!..

* * *